

الدولة الايوبية (567 – 648 هـ / 1171 – 1250 م)

صلاح الدين الايوبي (567 – 596 هـ / 1171 – 1199 م)

- 1- بدأ صلاح الدين الايوبي بمحو آثار الدولة الفاطمية فبدأ بالجيش فأهمل الجند العبيد السود والارمن الذين كان يعتمد عليهم الفاطميون .
- 2- كون جيش خاص به يتألف من المماليك الاسدية والاحرار من الاكراد الذين دخلوا في خدمته والمماليك الاتراك .
- 3- الذين اشتراهم لنفسه واطلق عليهم اسم المماليك الصلاحية نسبة له او الناصرية نسبة للقبه الناصر الذي لقبه به الخليفة الفاطمي العاضد حين ولاه الوزارة . فاصبح كل من الصلاحية والاسدية الحرس الخاص به.
- 4- كان لوفاة نور الدين زنكي سنة 569 هـ / 1174 م وفي نفس العام توفي عموري ملك بيت المقدس ان دبت الخلافات في كلا المملكتين .
- 5- وكان هذا لمصلحة صلاح الدين فعمل على تقوية جيشه فاهتم بالبحرية وعمل على تقوية الاسطول البحري ليتمكن من مواجهة خطر الصليبيين على السواحل المصرية وخصص للبحرية ديوان خاص بها عرف باسم ديوان الاسطول.
- 6- الذي اشرف على دور الصناعة ووفر لها جميع ما تحتاج اليه من الات واخشاب .
- 7- وقام باحتكار حراج (اي الغابات) اشجار السنط التي تعرف باسم الحراج السلطانية واعتبرها كالمعادن ليس لاحد حق التصرف بها الا بيت المال وتقع هذه جنوب الدلتا وصعيد مصر (الجيزة والاشمونيين واسيوط واخميم وقوص) .
- 8- واستعان كذلك باخشاب السنوبر الموجودة في لبنان ومعدن الحديد الذي يستخرج من جبل قرب بيروت وعقد معاهدات تجارية مع ايطاليا للحصول على ما يحتاج اليه من حديد واخشاب وشمع .
- 9- وعن طريق المتجر السلطاني الموجود في الاسكندرية وهو ديوان يقوم باستيراد جميع ما يحتاج اليه الجيش والاسطول من مواد كالاخشاب والحديد والاقمشة من التجار الاجانب باموال الخمس المفروضة عليهم .
- 10- وقام بمنع الاهالي والتجار من التعامل على البلاد المسيحية فيما يخص نقل او تزويدها بالاسلحة وعمل على تقوية اجهزة الدفاع والحراسة على السواحل فاسس الرباطات والمحارس والمناور والمناظر الممتدة على طول سواحل مصر والشام .
- 11- وقام بحماية سواحل البحر الاحمر وتجارته وحجائه والاماكن المقدسة المطلة عليه من خطر الصليبيين واعتمد على الاسطول البحري في توفير هذه الحماية .
- 12- وقام بالاستيلاء على قلعة ايلة التي كانت تابعة للصليبيين وحصنها بالمجاهدين لانها تقع في ممر حجاج مصر .
- 13- ثم قام سنة 566 هـ / 1170 م بالاستيلاء على اليمن وبعدها تمكن من السيطرة على الحجاز واصبح يدعى له على منابر مكة .
- 14- قام ايضا بتحسين الثغور المصرية على البحر المتوسط مثل الاسكندرية ودمياط ورشيد فامر بعمارة اسوارها وابراجها وحفر الخنادق حولها وكان يخرج بنفسه اليها ليرى سير العمل بها.

- 15- وقام برفع اجور رجال الاسطول لتحسين حالهم واستخدم الملاحين من المغاربة في اساطيله لاختصاصهم ومهارتهم في الجهاد البحري .
- 16- وعمل صلاح الدين على نشر روح الحرب والجهاد في نفوس المسلمين وتهينة عقولهم لهذا الواجب المقدس عن طريق المدارس العديدة في مصر وبلاد الشام .
- 17- وكان مجلسه لا يخلوا من ذوي الفضل الذين كانوا يحدثونه عن الجهاد ولهذا فقد الفت العديد من الكتب في هذا المجال وكان كتابه ووزرائه في مقدمة من الف هذه الكتب امثال العماد الاصفهاني والقاضي الفاضل.
- 18- بعد هذه الاصلاحات التي قام بها صلاح الدين في الدولة بدأ بشن الهجوم على مراكز العدو لشل حركة امداداته ومواصلاته البحرية في البحر المتوسط .
- 19- تمكن من تحقيق انتصار على الصليبيين في مواقع عدة منها بيروت وعكا وجزيرة ارواد، كريت، قبرص والسواحل الجنوبية لاسيا الصغرى وفي سنة 578 هـ / 1182 م .
- 20- حاول الامير الصليبي ارناط حاكم الكرك الاستيلاء على مكة والمدينة عن طريق البحر الاحمر.
- 21- وقام بنقل السفن على الجمال وعندما اوصلها للبحر اكمل انشائها .
- 22- فقام بالسيطرة على العديد من السفن المحملة بالحجاج والبضائع المتوجهة الى مكة والمدينة .
- 23- فارسل العادل اخو صلاح الدين الذي كان نائبا عنه في مصر اسطول بحري بقيادة حسام الدين لؤلؤ وتمكن من الظفر بالاسطول الصليبي .
- 24- قتل جميع من فيه من الجنود حتى لا يبقى احد منهم يعرف طريق هذا البحر ويخبر عنه الاخرين فاجبر ارناط على عقد الهدنة مع صلاح الدين وان يقتنع بالرسوم التي يفرضها على التجار المارين بامارته فضلا عن الاموال التي كان يدفعها صلاح الدين له دون علم احد ليتقي شره.

معركة حطين 583 هـ / 1187 م

- 1- بعد ان تمكن صلاح الدين من جمع كلمة المسلمين وتكوين جبهة عربية متحدة تمتد من برقة غربا الى الفرات شرقا ومن الموصل وحلب شمالا الى النوبة واليمن جنوبا .
- 2- قرران يقوم بهجوم عام على مملكة الصليبيين في بيت المقدس بسبب نقض ارناط الهدنة المعقودة مع صلاح الدين .
- 3- قيامه بالاستيلاء على قافلة تجارية كبيرة قادمة من مصر واسر من فيها ورفض محاولات صلاح الدين في استرداد الاسرى او الاموال .
- 4- لذا قرر صلاح الدين ان يقضي على مملكة بيت المقدس كانت خطة صلاح الدين عدم مواجهة الصليبيين بحرا او قرب السواحل .
- 5- انما اراد استدراجهم للداخل في المكان الذي حدده هو فقام بالهجوم على مدينة طبرية وكانت تحكمها زوجة امير طرابلس ريموند الثالث .
- 6- فأثار هذا غضب الصليبيين وقرروا المسير لصلاح الدين في طبرية فلما وصل الجيش الصليبي الى المكان كان متعبا فقر صلاح الدين مهاجمتهم فلجأوا الى تل حطين .
- 7- ولاحقهم المسلمين فقتلوا عدد كبير منهم واسروا آخرين على رأسهم ملك بيت المقدس جاي لوزجنان وحاكم الكرك ارناط ومقدم الداوية دي مونتفورت .

- 8- ولكن ريموند الثالث تمكن من الفرار من المعركة الى امارته طرابلس وقام صلاح الدين بقتل ارنات واسرى الداوية والاستبارية لكثرة شرورهم ووطأتهم على المسلمين .
- 9- وكانت خطة صلاح الدين السيطرة على المدن الساحلية لقطع الامدادات التي تصل للصليبيين من اوربا وليتمكن من ربط مصر ببلاد الشام بحرا .
- 10- فاستولى على عكا ويافا وصيدا وبيروت وجبيل وحيفا وعسقلان وغزة ولم يستعص عليه الا صور لموقعها الجغرافي المحاط بالمياه من معظم الجهات .
- 11- فقرر صلاح الدين التوجه الى بيت المقدس وحاصرها حصارا شديدا فاضطر اهلها للاستسلام ودخلها ليلة الاسراء 27 رجب سنة 583 هـ / 1187 م .
- 12- فرض على الصليبيين شروط اهمها ان لهم حرية المغادرة مقابل دفع فدية مناسبة اما الفقراء فقد سمح لهم بالخروج دون دفع الفدية اما النصارى الشرقيين من اهل المدينة فقد سمح لهم بالبقاء مع المسلمين على ان يدفعوا الجزية كأهل الذمة ولم يقيم يهدم الكنائس .
- 13- اعاد المساجد التي حولت الى كنائس لاسيما المسجد الاقصى وواصل صلاح الدين باسترداد مدن الشام من ايدي الصليبيين ولم يبق لهم الا انطاكية وطرابلس وصور وبعض المدن الصغيرة .
- 14- ونتيجة للخسارة التي مني بها الصليبيين فقد قاموا بالتجمع والتوجه الى الشرق في حملة صليبية ثالثة باتجاه عكا فارسل صلاح الدين نائبه بهاء الدين قراقوش الذي عرف بحسن تدبيره للدفاع عن عكا واستمر حصار الصليبيين لها مدة سنتين واحكموا حصارهم لها .
- 15- لم يستطع المسلمون ايصال المساعدات لها مما اضطر بهاء الدين قراقوش للاستسلام وتسليم المدينة سنة 587 هـ / 1191 م .
- 16- تمكن الصليبيين من السيطرة على العديد من المدن الساحلية الممتدة بين يافا وعكا مما اجبر صلاح الدين على هدم اسوار عسقلان كي لا يستولي عليه الصليبيين ويصبح الطريق سهلا الى مصر .
- 17- فشل الصليبيين من السيطرة على بيت المقدس فاجبر ريتشارد قلب الاسد على عقد الصلح مع صلاح الدين الايوبي سنة 588 هـ / 1192 م .
- 18- اعترف فيه صلاح الدين بسيطرة الصليبيين على المدن الساحلية من صور الى يافا على ان يبقى بيت المقدس بيد المسلمين والسماح للحجاج المسلمين بالحج اليها دون ان يقوموا بدفع اي ضريبة .
- 19- وبعد عقد الصلح عاد صلاح الدين الى دمشق فوافاه الاجل سنة 589 هـ / 1193 م ودفن فيها .

السلطان العادل سيف الايوبي (596 – 615 هـ / 1199 – 1218 م)

- 1- حدثت منازعات بعد وفاة السلطان صلاح الدين بين ابناء البيت الايوبي فانهزم ملك قبرص عموري لوزجنان ذلك واستولى على بيروت سنة 593 هـ / 1197 م .
- 2- قد حرص ابناء البيت الايوبي على اعتبار المملكة ارثا خاصا يقسم فيما بينهم ولكن عوامل الخلاف دبّت بين ابناء صلاح الدين .
- 3- ولم تمض 7 سنوات على وفاة صلاح الدين حتى تمكن اخوه العادل من السيطرة على العديد من المدن حتى تمكن من السيطرة على معظم المدن التي كانت بيد امراء الاسرة الايوبية فاصبح يرأس دولة موحدة قوية بعد ان تمكن من القضاء

على الفئات المناصرة لاولاد صلاح الدين في الجيش فبدأ بالعمل على القيام بالاصلاحيات العامة في الدولة ومن اهم اعماله:

1- الاهتمام بالثغور وتحصينها لاسيما ثغر دمياط فقام ببناء مدينة العادلية جنوب دمياط على الضفة الشرقية للنيل واسكنها بالمقاتلة .

2- وزودها بالالات الحربية فضلا عن وجود برج السلسلة حيث تمتد منه سلسلتان تتجه الاولى من على نهر النيل الى دمياط من الضفة الشرقية والآخرى تتجه الى جيزة دمياط في الضفة الغربية فأذا وثقت السلسلتان امتنع على المراكب العبور من فرع دمياط فكان هذا البرج هو مفتاح دمياط وقفل مصر كما يطلق عليه المؤرخين.

وبالرغم من ذلك فقد قرر الصليبيون غزو مصر عبر مدينة دمياط وهو ما يعرف بالحملة الصليبية الخامسة بقيادة الملك جان دي برين ملك بيت المقدس وكان يحكم مصر الملك الكامل الايوبي نيابة عن ابيه السلطان العادل الذي كان يحارب الصليبيين في بلاد الشام سنة 615 هـ / 1218 م فأرسل الكامل الاساطيل الى دمياط وكان يركب من العادلية الى دمياط لادارة امورها واستمر برج السلسلة يقاوم الصليبيين 4 أشهر حتى قام الصليبيون بأنشاء برج ضخيم مكثهم من الاستيلاء على برج السلسلة فلما سمع العادل بذلك وهو في بلاد الشام حزن كثيرا واصيب بالمرض ومات بعد بضعة ايام .